# بيان المهم

# من عقيدة أهل السنة

# في القدر

للشيخ الفاضل أبي محمد

عبد الحميد بن يحيى الحجوري الزعكري

حفظه الله

# بيان المهم من عقيدة أهل السنة في القدر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله واشهد أن لاإله إلا الله واشهد أن محمداً عبد ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً أما بعد فإننا نحمد الله سبحانه وتعالى الذي يسر لنا هذا المسير المبارك لزيارة إخواننا أهل السنة والجماعه في هذه المحافظة المباركة محافظة حضرموت ونسأل الله عز وجل أن يمنّ علينا برؤية غيرهم من إخواننا في بقية المناطق وقد سمعنا من الشيخ حسن كلمة طيبة في بيان منزلة أهل الحديث وكيف لا يكون أهل الحديث هم أفضل الأمة وهم الآخذون بطريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهم حظ من التسمية فماسموا بأهل الحديث إلا لتعظيمهم للحديث وإعتقادهم له والعمل به.

كما أنهم سموا أهل السنة والجماعة لأخذهم بسنة النبي صلى الله عليه وسلم وطريقته وسموا بأهل الآثار لتحكيم الآثار في عقائدهم وأقوالهم وأفعالهم ويؤثر عن الإمام أحمد أنه قال إن استطعت أن لاتحك ظهرك إلا بأثر فافعل أو كماقال رحمه الله

وسموا بالجماعة لاجتماعهم على ماكان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأس الجماعة هم الصحابة رضوان الله عليهم والجماعة هي الحق وإن كان المتمسك بها واحداً فمابالك إذا كانت طائفة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لاتزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم

ظاهرون» الحديث جاء عن مجموعة من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكره مسلم رحمه الله في آخر كتاب الإمارة من صحيحه وأخرج البخاري عن بعضهم

فشاهدنا ماذكره الشيخ أبو حمزة حفظه الله وذكّرنا بمنزلة هذه الفرقة وهذه الطائفة الذين حفظ الله بهم الدين فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ فحفظ الدين بأهل الحديث سواء في ذلك حفظ القرآن لفظاً ومعنى أوحفظ سنة النبي صلى الله عليه وسلم ثم إنّ أهل البدع وإن كان بعضهم ربما يحفظ القرآن ويحفظ رسمه وربما على أوجه القراءات إلا أنه ما حفظ معناه كما أمره الله سبحانه وتعالى.

بينما أهل السنة والجماعة حفظوا لفظه وحفظوا معناه وهذه من النعم العظيمة والمزايا الشريفة فإن حفظ القرآن رسماً بغير معنى ضرر في الدين لاسيما مع فساد العقائد فيقرأ احدهم﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ويفسر بقوله استولى.

ويقرأ قول الله عز وجل : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ويزعم أن الله عز وجل في كل مكان بذاته نعوذ بالله من هذا الاعتقاد الذي هو اعتقاد الحلولية والاتحادية ونقل شيخ الإسلام الإجماع على أنهم أكفر من اليهود والنصارى.

ويقرأ قول الله عز وجل :﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ويقول المراد بها النعمة.

هذا من التحريف الذي يخالف طريقة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وما أجمع عليه السلف الصالح.

وإنما امتدح الله عز وجل أهل القرآن الذين هم أهله (وأهله هم الذين يعملون به ويعقتدونه ويسيرون فيه على ماكان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء كان في قراءته لفظه أو في تفسير مايدل عليه ويتضمن من المعاني)

وهكذا على مر العصور وتقلبات الدهور لا تجد أحدا على هذا الطريق إلا أهل الحديث أهل السنة والجماعة الذين يفسرون القرآن بالقرآن وبسنة النبي عليه الصلاة والسلام أو يفسرون القرآن بأثار الصحابة رضوان الله عليهم أو بدلالة اللغة الفصيحة التي بها نزل.

بينما أهل البدع حرفوا القران بل إن حجتهم على كثير من العقائد الفاسدة القرآن وقد جاء في الأثر: (أصحاب الرأي أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها وتفلتت منهم أن يعوها واستحيوا حين سُئلوا أن يقولوا لا نعلم فعارضوا السنن برأيهم فإياكم وإياهم).

فإذا جاءك المبتدع يحتج عليك بالقرآن فأته بمايفسر القرآن على طريقة النبي عليه الصلاة والسلام ينفون الرؤية بقول الله عز وجل: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في كتابه حادي الأرواح عن شيخه ابن تيمية قوله: أنا ألتزم أنه لا يحتج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله إلا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله.ثم ذكر الآية :﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾التي استدل بها المبتدعة على أن المؤمنين لايرون ربهم يوم القيامة بينما الآية دليل على رؤية المؤمنين لربهم سبحانه وتعالى بغير إحاطة فالله عز وجل نفى الإدراك ولم ينفِ الرؤية ومايدل على هذا المعنى قول موسى عليه السلام :﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا﴾ فمالذي نفاه موسى الرؤية أم الإحاطة؟ نفى الإحاطة لأن بعضهم قد أدرك بعضاً فكيف ينفي شيئاً محققا وإنما نفى الإحاطة التي هي الإدراك فالأدراك رؤية وزيادة.

فمن الذي حفظ للأمة هذا المعنى ؟

هم أهل الحديث وإلا فإن المبتدعة يحرفون الآيات والأحاديث تحريفاً تشمئز منه قلوب الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ولايتورعون عن تحريف الأدلة فيفسرون الوجه بالثواب فقول الله عز وجل :﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ يفسرونه بالثواب فهل الثواب المخلوق يقال فيه ذو الجلال والاكرام؟

إن الوجه الذي يتصف بالجلال والاكرام هو وجه الله الذي هو قال عنه النبي صلى الله

عليه وسلم «حجابه النورلو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ماانتهى إليه بصره من خلقه»

وهكذا يقول الله عز وجل : ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾

واستدل بهذه الآية أهل السنة والجماعة على إثبات علو الله عز وجل على عرشه

واستدل بها أهل البدعة والشناعة على أن العلو هنا هو علو القدر وعلو القهر وليس بعلو الذات وهذا لفساد معتقداتهم وقولهم بالحلول والاتحاد.

فالقرآن حفظه الله عز وجل والسنة حفظها الله عز وجل بأهل الحديث فميزوا صحيحها من ضعيفها وميزوا سليمها من سقيمها وميزوا مقبولها من معلولها فمابقي لذي بصيرة إلا أن يسلك هذا السبيل ويحمدالله عز وجل عليه :﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾

ولا يزهد في الحديث إلا من لم يقدر هذا الذين كما يجب.

فإن الحديث والسنة وحي من الله سبحانه وتعالى قال الله عز وجل ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾

فعظموا الحديث في قلوبكم واعتقدوا ماكان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه واعملوا بمادل عليه الكتاب والسنة ولايفرق بين دلالة الكتاب والسنةإلا

مخذول بمعنى أنه يقول نأخذ بالقرآن ولانقبل السنة فهذا قول القرآنيين الذين كفرهم العلماء فهم حين يقولون نحن نقبل القرآن ونرد السنة هم يردون القرآن لأن الله عز وجل يقول:﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ ﴾.

ومن أخذ بالحديث سلمت له عقيدته وعبادته وطريقته والدنيا والاخرة قال النبي صلى الله عليه وسلم : «فعليكم بسنتي وسنة الخلفا الراشدين المهدين عظوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلاله»

فسبب البدع والضلال هو ترك حديث النبي صلى الله عليه وسلم وطريقة السلف الصالح.

وفي هذه الليلة الثالث عشر من شعبان لعام الف واربعمائة وثمانية وثلاثين في هذا المسجد من منطقة الديس نكون مع إخواننا في أمرٍ ومسألةٍ ركز عليها أهل الحديث جداً فبينوها في الجوامع والسنن والمسانيد وألفوا فيها المؤلفات المفردة.

ألا وهي مسألة الإيمان بالقدر الذي تضمن الدلالة عليه حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيه قصة عن يحيى بن يعمرقال كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن

يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت :أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف قال فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم قال حدثني أبي عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا قال صدقت قال فعجبنا له يسأله ويصدقه قال فأخبرني عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت قال فأخبرني عن الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال فأخبرني عن الساعة قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل قال فأخبرني عن أمارتها قال أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان قال ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لي يا عمر أتدري من السائل قلت الله ورسوله أعلم قال فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم.

وقد قال الله عز وجل:﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾

وقال الله عز وجل: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾

ومن المعلوم أن الآية الأولى أنزلت في شأن المشركين حين خاصموا محمد صلى الله عليه وسلم في القدر كما في صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه

وتحقيق الايمان بالقدر من المهمات فإن المخالفين فيه كُثر.

فلو تأملت الساحة لرأيت أن الرافضة يخالفون في هذا الباب والمعتزلة والجهمية والأشاعرة ومن تأثر بهذه الطوائف

وانقسموا في هذا الباب إلى قسمين مثبته ونفاة

فالمثبتة الذي هم الجهمية الجبرية غلو في اثبات القدرحتى عطلوا العبد من فعله فزعموا أن العبد كالريشة في مهب الريح وإنما الفاعل حقيقة هو الله سبحانه وتعالى وجعلوا أعمالهم طاعات حتى مايتعاطونه من الكفر والبدع والمعاصي وهؤلاء ضلال منحرفون عن صراط الله القويم حتى قال بعضهم:

أصبحت منفعلا لما ينتابني منه ** ففعلي كله طاعات.

والطائفة الاخرى المعتزلة غلت في إثبات فعل العبد حتى زعمت أن الله لم يخلق الخير ولم يخلق الشر وأن العبد هو الذي يهدي نفسه وهو الذي يضلها مهملين قول الله عز وجل:﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾

وحديث النبي صلى الله عليه وسلم : الله خلق كل صانع وصنعته' .أخرجه البخاري في الأدب المفرد عن حذيفة رضي الله عنه وهو حديث ثابت ذكره الشيخ مقبل رحمه الله تعالى في كتابه الجامع الصحيح في القدر.

وطريقة أهل السنة والجماعة إثبات القدر فمايدل على هذه المرتبة العظيمة في الدين ووجوب تحقيق الإيمان بها ما أخرجه الشيخان عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوقإن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث إليه ملك فيؤمر بأربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله ثم يكتب شقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع أو قيد ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع أو قيد ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها .

وفي حديث سهل بن سعد رضي الله عنه وزيادة :وإنما الاعمال بالخواتي فهذا الحديث العظيم فيه دلالة لما عليه هذا المخلوق منذ وقوع النطفة في الرحم وحتى يلقى الله سبحانه وتعالى وان الله قد فرغ من العباد فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير كما اخرج احمد عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتابان فقال أتدرون ما هذان الكتابان ؟ فقلنا : لا يا رسول الله إلا أن تخبرنا ، فقال للذي في يده اليمنى : هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ، ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا . ثم قال للذي في شماله : هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ، ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا . فقال أصحابه : ففيم العمل يا رسول الله إن كان أمر قد فرغ منه ؟ فقال : سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة ، وإن عمل أي عمل ، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه فنبذهما ثم قال : فرغ ربكم من العباد ، فريق في الجنة وفريق في السعير

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال : كنا في جنازة في بقيع الغرقد ، فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقعد وقعدنا حوله ، ومعه مخصرة ، فنكس رأسه فجعل ينكت بمخصرته ثم قال : ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من

الجنة والنار ، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة ، قال : فقال رجل : يا رسول الله ، أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل ؟ فقال : من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل [ أهل ] السعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة . ثم قال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة ، ثم قرأ : فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى.أخرجاه

ومما يدل على هذا المعنى أيضاًماجاء عند أبي داود وغيره عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه: قال لابنه عند الموت: يا بني، إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أوَّل ما خلق الله القلم، قال له: اكتب، قال: يا رب، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»، يا بني، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَن مات على غير هذا فليس مني»

وحديث أنس بن مالك الذي في الصحيح أيضاً بمعنى حديث ابن مسعودا قال: «إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ ؟ أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ ؟ أَيْ رَبِّ

مُضْغَةٌ ؟ فَإِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقًا ، قَالَ : قَالَ الْمَلَكُ : أَيْ رَبِّ ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى ؟ شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ؟ فَمَا الرِّزْقُ ؟ فَمَا الْأَجَلُ ؟ فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ »

ولهذا كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول:

الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه.

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه مايدل على ذلك وهو الحديث المشهور الذي اخرجه الترمذي وغيره قال صلى الله عليه وسلم «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ)

فالله عز وجل قد كتب مقادير الخلائق ومقادير العباد قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء كمافي حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال صلى الله عليه وسلم إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال:وعرشه على الماء

فالأدلة على ماتضمنت هذه الأحاديث كثيرة سواء كانت في الكتاب وفي السنة الصحيحة أوما جاء عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم ومما يدل على أن

الإنسان يسير على ماقدره الله في الأزل ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة وجاء بنحوه عن سهل بن سعد الساعدي ـ رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم التقى هو والمشركون فاقتتلوا، فلما مال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عسكره ومال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه، فقالوا: ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما إنه من أهل النار، فقال رجل من القوم: أنا صاحبه، قال: فخرج معه كلما وقف وقف معه وإذا أسرع أسرع معه، قال: فجرح الرجل جرحا شديدا فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أشهد أنك رسول الله، قال: وما ذاك؟ قال: الرجل الذي ذكرت آنفا أنه من أهل النار، فأعظم الناس ذلك، فقلت: أنا لكم به فخرجت في طلبه ثم جرح جرحا شديدا فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه في الأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة».

ومع ذلك ينبغي أن نعلم يقينا أن الله عز وجل ليس بظلام للعبيد فمن ادخله الجنة فبفضله سبحانة وتعالى حيث يسره للعمل الصالح وفي حديث عائشة وابن مسعود ان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل.

فالباء هنا باء العوض أما الباء في قوله تعالى :﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فالباء هنا هي باء السببية فالعمل سبب لدخول الجنة ودخول الجنة هو فضل من الله عز وجل على العبد فإن الله عز وجل لا يدخل النار إلا وهو مستحق لها

قال الله عز وجل في الحديث القدسي : إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته محرما بينكم فلاتظالموا

وقال الله عز وجل:﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾

وقال الله عز وجل:﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾

والله عز وجل هو القائل:﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾

وهوالقائل:﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾

فاقتضت حكمته وعلمه أن يكتب مقادير الخلائق خيرها وشرها ثم غيب هذه المقادير عن المكلفين.

وتفطن لهذا الأمر فكثير من الناس ربما لايصلي أو ربما يسرق أو ربما يعصي الله فإذا ماأنكر عليه قال في المعصية قدر الله علي وقال في عدم الطاعه لو قدر الله سبحانه وتعالى لصليت أو لصمت أو لزكيت إلى غير ذلك فالقدر مغيب عنك لاتدري مافي الكتاب الذي كتبت فيه أفعال العباد بينما الأوامر والنواهي واضحة لك أنزل الله القرآن وأوحى الله سبحانه وتعالى إلى النبي صلى الله عليه وسلم السنة كماأوحى إليه القرآن فهذه أمور ظاهرة تعلم أن الله تعالى قد فرض في القرآن الصلاة والصيام والزكاة والحج وأمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فأفعل الطاعة واجتنب المعصية هذا هو الفعل الصحيح والإعتقاد الصحيح أن تؤمن بالقدر وتؤمن بالشرع الذي أوحاه الله عز وجل إلى أنبياءه ورسله فإذا وقعت منك المخالفة لله سبحانه وتعالى إما لسهوٍ أو لعمد لك أن تتوب من الذنب ثم تقول بقضاء وقدر أما أن يستمر الإنسان بالمعاصي محتجا بالقدر فلاعذر له بذلك.

ومراتب الايمان بالقدر أربع مراتب إذا اردت حقاً ان تعتقد الاعتقاد الصحيح في هذا الركن العظيم فعليك أن تومن بها: المرتبة الأولى العلم: وعلم الله عز وجل بماكان ومايكون وأن الله عزوجل لاتخفى عليه خافية وادلة ذلك كثيرة في كتاب ربنا وفي سنة نبينا صلى الله عليه وسلم ومن أجمع ذلك :﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

ومن ذلك:﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ٥٩ ﴾

فهذا الآية عامة في علم الله عز وجل بجميع المعلومات قال الله عز وجل :﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ قال الله عزوجل: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾

فالشهادة فالشهادة هي ماظهر

والغيب هو ماغاب عن الأعين

فالله عز وجل هو عالم الغيب كماهو عالم سبحانه وتعالى بالشهادة

قال الله عز وجل:﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ۖ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢٠)﴾

قال عز وجل:﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾

قال الله عز وجل:﴿لا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ لاتخفى عليه خافية فتحقيق هذه المرتبة من الأهمية بمكان واعتقاد هذا الأمر حتمٌ وجزمٌ ومن اعتقد أو ظن أن الله لايعلم بكل شئ فهو كافر وهو من الصنف الذين كفرهم ابن عمر رضي الله عنه كماتقدم معنا

فقولهم إن الأمر أُنف أي إن الله سبحانه وتعالى لم يعلم بالأمر إلا بعد وقوعه عند هؤلاء الضلال مثلا هذا الاجتماع عند المعتزلة أو غلاة المعتزلة لم يعلمه الله إلا بعد أن وقع وهذا هو كفر والعياذ بالله فالله بكل شئ عليم﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ وكل من الفاظ العموم

**والمرتبة الثانية** الكتابة فإن الله عز وجل قد كتب مقادير الخلائق كتب الخير وكتب الشر وكتب الأرزاق وكتب الآجال والأعمار وكتب السعادة والشقاوة وكل شئ يقع في هذا الكون العلوي والسفلي فهو في كتاب الله عز وجل

قال الله سبحانه وتعالى:﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾

قال الله عز وجل: ﴿حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾

فأم الكتاب هو اللوح المحفوظ الذي كتب الله عز وجل فيه مقاديرالخلائق

وقد دل على كتابة المقادير حديث ابن عمرو المتقدم وحديث عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لما خلق الله القلم فقال: أكتب فكتب ما كان وهو كائن إلى يوم القيامة»

**والمرتبة الثالثة المشيئة** فإن مامن شئ يقع بهذا العالم العلوي والسفلي إلا شاءه الله سبحانه وتعالى قال الله عز وجل: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾

فمن زعم أن شيئا يقع في هذا العالم لم يرده الله كوناً ولم يشأه فقد زعم أنه يقع في ملكه مالم يأذن به ولم يشأه.

والله عز وجل شاء الايمان والطاعة لمحبته لها وشاء الكفر والمعصية لحكمة أرادها وهو إختبار العباد.

ومن الذي يستطيع أن يفعل في ملك الله مالايشاء الله سبحانه وتعالى

قال الشاعر: ماشيئت كان وإن لم اشأ...

وماشيئت إن لم تشأ لم يكن

فماشاء الله عز وجل كان ومالم يشاء لم يكن

وهي عقيدة المسلمين التي يكررها الصغار والكبار.

ولو قلت لاحدهم لماذا تأخرت عني اليوم قال: ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن

قال الله عز وجل :﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾

قال الله عز وجل :﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾

قال الله عز وجل: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾

والإرادة تنقسم إلى قسمين حتى لايشكل على أحدكم لماذا أراد الله عز وجل منا بعض الاشياء ولم تقع

مثل قول الله عز وجل :﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾

فإن كثير من الناس ماعندهم اليسرية فالجواب أن الإرادة تنقسم إلى إرادة كونية وشرعية

فالإرادة الكونية لابد أن تقع

والإرادة الشرعية قد تقع وقد لاتقع

والإرادة الكونية تكون في المحبوب وفي غير المحبوب مثلا يريد الله الكفر كوناً لحكمة ويريد الإيمان لمحبته له.

بينما الإرادة الشرعية لاتكون إلا في المحبوب

والإرادة الكونية تكون في حق الطائع والعاصي

والإرادة الشرعية لاتكون إلافي حق الطائع

فإذا عرفت هذا سلمت من زلقات اهل البدع الفالجة.

**المرتبة الرابعة من مراتب الإيمان بالقدر**: الخلق

وأن الله خالق كل شئ من حركات وسكنات من طول وقصر من خير أو شر فالله خالق كل شئ

وهؤلاء الذين يقولون بأن الله لم يخلق الشر

يقال لهم: من الذي خلق ابليس أليس الله عز وجل قال عن إبليس بقوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾

فالله عز وجل خلق ابليس وهو رأس الشر وخلقه لحكمه قال تعالى ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فمن حقق هذه المراتب الأربع خرج من معتقد الجبرية الذين يزعمون أن الإنسان كريشة في مهب الريح أومن معتقد النفاة المعتزلة الذين يزعمون أن الله لم يخلق أفعال العباد

وقد ألف الإمام البخاري رحمه الله تعالى كتاب خلق أفعال العباد في الرد على هاتين الطائفتين وينبغي أن يُعلم أن القدر سر الله لم يطلع عليه ملكاً مقرباً ولانبياً مرسلاً والذي يتعمقون ويخوضون فيه هم أجهل الناس.

ومن استسلم لأمر الله وشرعه وآمن به كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم : «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» فهو من أعلم الناس به.

ثم ليس من الايمان بالقدر ترك العمل وتقول أنا ماسأُصلي ولاسأصوم ولاسأحج وماقدر الله علي في اللوح المحفوظ سأناله هذا لايستقيم فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد قال: (اعملوا) لماقال الصحابة رضوان الله عليهم يارسول الله أرأيت مايعمل العباد أفيما قدر أم فيما يستأنف قال: بل قدر قالوا :يارسول الله الانترك العمل قال: اعملوا فكلا ميسر لما خلق له

اعمل بالطاعة واعمل بالبر والاحسان واحمد الله عز وجل الذي يسرك للطاعة والذي يسرك للبر والاحسان واحمد الله عز وجل الذي قدر عليك المعصية أو قدر عليك شئ من الشرور والآثام أن يوفقك للتوبة وشرع لك العودة إليه ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

والقدرية ولاسيما الرافضة في بلاد اليمن وغيرهم في كثير من البلدان يجادلون في هذا الباب ويتكلمون على أهل السنة لماذا يقولون الخير والشر بقدر الله عز وجل ويزعمون ان المقتول خرم اجله ولم يمت وهذا من أفسد الاقوال فإن الانسان إذا قبضت روحه انتهى أجله قال تعالى﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ وقال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾

والإيمان بالقدر يجعل الإنسان خائفاً وجلاً من الله عز وجل.

وهذه عبادة جليلة فإن الإنسان إذا اتكل على نفسه هلك وإذا ظن أنه وصل إلى نهاية الطريق ومازال فيها لربما هلك و إذا كان يعلم أن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع العباد يصرفها كيف يشاء فإن هذا يجعله دائماً خائفاً وجلاً أن يقع منه الانحراف وربما يقع من بعضهم الانحراف وهو في آخر الطريق كماقال النبي صلى الله عليه وسلم منهم من يعمل بعمل أهل النار حتى مايكون بينه وبينها إلاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخل الجنة ومنهم من يعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها إلاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها

مصيبة كارثة تحل بهذا الشخص إذ ا كان مصلياً صائماً موحداً مستقيماً على كتاب الله وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفجأة ينسلخ من دين الله نعوذ بالله من الحور بعد الكور

ومن ثمرات الايمان بالقدر عدم القنوط من رحمة الله وعدم اليأس من روح الله فلا يقل أحدهم أنا قد زنيت وسرقت وذهبت إلى السحر والمشعوذين والكهان والعرافين فأنا انتهيت لا. مادمت في حياتك فتب إلى الله عز وجل واعلم أن الأعمال بالخواتيم فان تبت الى الله سبحانه وتعالى بشروط التوبة النصوح قبل الغرغرة وفي زمن تقبل فيه

التوبة وكنت مخلصاً لله عز وجل واقلعت عن الذنب وندمت على فعلك وعزمت على عدم العودة إليه فإن الله عز وجل يقبل تلك الطاعة بل ويبدل تلك السيئات حسنات

والإيمان بالقدر فيه تخويف من الله عز وجل وفيه رجاء بالله سبحانه وتعالى

وبالإيمان بالقدر يعلم الإنسان أنه مراقب من الله سبحانه وتعالى وأن أفعاله لايمكن أن يغيب منها شئ فإذا كان مُراقباً لله فإنه يحرص كل الحرص على الخير والإبتعاد عن الشر والضير

وبالإيمان بالقدر حسن التوكل على الله عز وجل ويعلم أنما أصابه لم يكن ليُخطئه ،حصل على رزق الله كتبه له لم يحصل على ذلك الرزق الله عز وجل هو الذي صرفه عنه ولعل في صرفه عنه خيراً لايدريه

وبالإيمان بالقضاء والقدر دلالة عظيمة على قدرة الله النافدة كيف يصرّف قلوب العباد جميعاً في المشرق والمغرب على ماشاء ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

يامصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك.

يدعو الله عزوجل بهذا الدعاء العظيم والله عز وجل يقول مخبراً عن دعاء المؤمنين :

﴿ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾

فيتعبد المؤمنون بعبادات كثيرات بسبب إيمانهم بالقدر

والايمان بالمشيئة تجعل الانسان يعلم يقيناً أن مشيئة الله نافذة في البر والفاجر ،والمؤمن والكافر، في الجني والانسي، في جميع الكون ويعلم أن الله لايتخلف عن مشيئته شئ فيدعو الله عز وجل بتيسير الخير ويكون خائفاً وجلاً من أعماله ومن تصريف الله عز وجل لقلبه فإن الزيغ والضلال يقع للانسان بقدر بعده عن الكتاب والسنة قال الله عز وجل:﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ﴾

ومن ثمرات الايمان بالقدر الشجاعة والكرم وغير ذلك.

ثم اعلم أن هداية الله عز وجل لك هي بتوفيقه وتسديده

مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ

كَلاَّ وَلاَ سَعْيٌ لَدَيْهِ ضَائِعُ

إِنْ عُذِّبُوا فَبِعَدْلِهِ أَوْ نُعِّمُوا

فَبِفَضْلِهِ وَهْوَ الكَرِيْمُ الوَاسِعُ

فإذا هداك الله عز وجل فهي منته وفضله وإذا أضلك الله عز وجل فهو عدله

وقد وضع المعتزلة هنا سؤالاً قبيحاً وهو قولهم لماذا هدى الله عز وجل فلان وأضل فلان وهذا لجلهم بربهم سبحانه وتعالى فإنه الفعال لما يريد هو العالم بالناس والعالم باحوالهم فقد قال الله عز وجل في شأن الكافرين :﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ

لَكَاذِبُونَ﴾ لو ردوا بعد دخول النار إلى الدنيا لعادو إلى ماكانوا فيه من الكفر والضلال لأن الله عز وجل علم أن قلوبهم مطبوعة على هذا الأمر

فهذا باب عظيم ينبغي لنا أن نتكلم فيه في خطبنا وفي دروسنا وفي كتبنا وبين العامة وبين الخاصة لأهميته

وهل يجوز الاحتجاج بالقدر على فعل المعصية

رجل زنى أو سرق أوشرب الخمر أو ترك الصلاة أو ذهب يطوف بالقبر ثم يقول قدر الله عليّ

هل يجوز له ذلك ؟

لايجوز الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي وانما إذا تاب الانسان من المعصية لايعير بما قدر الله سبحانه وتعالى عليه وفي حديث أبي هريرة وعمر رضي الله عنهما وجابر رضي الله عنه في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «احتج آدم وموسى فقال له موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة قال له آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة فحج آدم موسى فحج آدم موسى ثلاثا .

فالتائب من الذنب لايجوز أن يعير بذنبه وغير التائب لا يجوز أن يحتج بالقدر ولو احتج محتج بالقدر على فعله القبيح يقال له وتقام عليك الحدود بقدر الله عز وجل فان الذي قدّر عليك المعصية قضى وشرع أن يجلد الزاني البكر ويجلد شارب الخمر وتقطع يد السارق هكذا قدر الله عز وجل كما رُوي عن عمر رضي الله عنه أنه قطع يد سارق فقيل قدر الله عليه قال : قدر عليك السرقة وقدرعلينا قطع اليد ..

فهذا باب عظيم يجب فيه الاستسلام لله سبحانه وتعالى

والايمان به والتحقيق له والسير على سير السلف رضوان الله عليهم فيه ولنعلم أن الخير والشر من الله.

وأما حديث النبي صلى الله عليه وسلم في قيام الليل (والشر ليس اليك) فليس معناه ان الله لم يخلق وانما معناه أن الشر لايتقرب به إلى الله

أو أن الشر لا يرفع إلى الله

أو أن الشر لا ينسب إلى الله فلا يقال ياخالق الشر

أو أن الشر بالنسبة لنا شر وبالنسبة لله عز وجل ليس بشر لان أفعال الله عز وجل على مقتضى علمه وحكمته فماخلق من شئ واوجده في هذا العالم الأ على وفق العلم والحكمة فبهذا نعلم معنى هذا الحديث والشر ليس اليك

والايمان بالقضاء والقدر من الأمور المتحتمة والأمور الثابتة في كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم

ويجب علينا أن نحققهم على وجه ماشرع الله سبحانه وتعالى بعيداً عن الغلاة والجفاة.

ومن أحسن ماأولف في هذا الباب كتاب القدر للفريابي وأحسن منه وأجمع الجامع الصحيح في القدر للشيخ مقبل رحمه الله

وذكر أن من أسباب تأليفه أن معرفة الايمان بالقدر يزيد الايمان.

وتعلم أن الله عز وجل قد قدر أحوال العالم العلوية والسفلية ومع ذلك تسير الأمور على وفق ماقدر الله سبحانه وتعالى ولايخرج شئ عن علمه ومشيئته وخلقه ومع ذلك هو جار على حكمته

وهنا مسألة هل يجب على العبد الرضى بالمقدور؟

الجواب ما قاله السفاريني في منظومته:

( ( وليس واجب على العبد الرضا  بكل مقضي ولكن بالقضا ) )

فالواجب عليك أن ترضى بفعل الله وبماهو إلى الله لأنه على مقتضى حكمته أما فعلك فمنه مايجب أن ترضى به كالصلاة والصيام والبر ومنه مايستحب أن ترضى به وهي المستحبات ومنه مايجوز أن ترضى به وهو الجائزات ومنه مايكره أن ترضى به وهو

المكروهات ومنه مايحرم أن ترضى به وهو المحرمات بل ربما أن بعض الأمور الرضى بها كفر من رضي بالكفر كفر ومن رضي بالشرك حكم عليه بالكفر أو رضي بدين غير دين الاسلام.

فما كان إلى الله عز وجل فيرضى به ونسال الله عزوجل أن يكرمنا بالثبات على دينه حتى نلقاه ونسأل الله سبحانه وتعالى أن لايزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا

والنبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو كثيرا بالادعية التي تدل على الثبات .